قلت هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك
وربما ندم الانسان على ما فعلت ولا يشكون في تندمه ولا
يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه
او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلا
يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن
ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الاية لو كانوا
يودون الاسلام مرة واحدة فبالحرى ان يسارعوا اليه فكيف وهم
يودونه في كل ساعة ﴿لو كانوا مسلمين﴾ حكاية ودادتهم وانما
جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله
ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا
سديدا وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين
فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك
قلل ﴿ذرهم﴾ يعني اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي
عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم ﴿يأكلوا
ويتمتعوا﴾ بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم املهم وتوقعهم
لطول الاعمار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة الا خيرا
﴿فسوف يعلمون﴾ سوء صنيعهم والغرض الايذان بانهم من اهل
الخذلان وانهم لا يجيء منهم الا ما هم فيه وانه لا زاجر لهم ولا
واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ
ولا سبيل الى اتعاظهم قبل ذلك فامر رسوله بان يخليهم وشانهم
ولا يشتغل بما لا طائل تحته وان يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم

بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة في
الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم
وما يؤدي اليه طول الامل وهذه هجيرى اكثر الناس ليس من
اخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين
﴿ولها كتاب﴾ جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط
الواو بينهما كما في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون
وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال
جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب ﴿كتاب معلوم﴾ مكتوب
معلوم وهو اجلها الذي كتب في اللوح وبين الا ترى الى قوله ﴿ما
تسبق من امة اجلها﴾ في موضع كتابها وانث الامة اولا ثم ذكرها
آخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال يستأخرون بحذف عنه لانه
معلوم ﴿وقالوا﴾ قرأ الاعمش يا ايها الذي القي اليه الذكر وكان هذا النداء
منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى
الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع
وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم بعذاب انك لانت الحليم
الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين
حين تدعي نزل عليك الذكر ﴿لو ما﴾ لو ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع
الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض واما هل فلم تركب الا مع لا وحدها
للتحضيض وقال ابن مقبل لوما الحياء ولوما الدين عبتكما
ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك